

أنسى.. في رجل..

معصومة علي المطاوعة

أنثى.. في رجل..

قصص من الواقع

أنثى.. في رجل..
قصص من الواقع
معصومة المطاوعة

الطبعة الأولى
مملكة البحرين - 2006

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

رقم الإيداع في إدارة المكتبات العامة: د.ع. 4809 / 2006م
رقم الناشر الدولي: ISBN 99901-94-15-7

لوحة الغلاف للفنان عبد الجبار الغضبان
تصميم الغلاف: خالد الرويعي
الطباعة والتوزيع: مؤسسة الأيام للنشر

إهداء

هنا..

عند ملتقى نظرات العابرين في أحد الأحياء الضيقة..

كنت أنا..

هناك..

عند مفترق الجهة الخلفية من أعناق رجال مشغولة..

كان هو..

متى وكيف أصبحنا نحن..

لا أعلم..

لكن يكفيني سعادة بأنه في مكان ما أمسينا نحن..

ولنا..

أهدي هذا الكتاب..

مقدمة

تمرّ الإنسانية على مراحل.. وينعطف عمر الإنسان على الكثير من المدارات.. فتتوقف حياته عند الكثير من التجارب بقصد اكتساب الخبرات.. فأحياناً يجد نفسه يواجه أعاصير زمان ومكان طاغين.. وأحياناً يجد أن تلك الأعاصير قد أعادت له كل ما حملته من ترابٍ والتهمته من موادٍ إلى أماكنها بسلام.. وتنتهي مرحلة لتبدأ مرحلة.. وتتعاقب الأيام من جديد.. ويعود الإنسان لدورة الحياة.. يراقب تعاقب المراحل.. ويتساءل عند أي منعطفٍ سيتوقف العمر هذه المرة.. لتتسطرّ آلامه وهواجسه في كلمات..

من يقول بأن الورق لا يتكلم؟.. من يقول بأن اللغة تحتاج إلى لسان!.. ها هو هذا الكتاب هنا يسطرّ آلام الكثيرين.. ينقل تجاربهم ليسمع آهاتهم ويقول الكثير.. من يقول بأن حبر الكلمات يجف؟.. ها هو ذا حبر هذا الكتاب يلامس أيدي كل من تلامس أنامله ورقه.. حبرٌ ينبض بالحياة كلما شاطر الكتاب قلبٌ ليقراه.. ليحكى له ما جرى خلف أبواب موصدة.. أبواب قصور وقلل وبيوت وشقق ومبانٍ آيلة للسقوط.. آلام أناس ينتمون لهذا الخليج الذي تناثرت حوله دول صغيرة وكبيرة تتكلم العربية.. فتعالوا نبدأ مشوارنا مع هذا الكتاب لتتعرف على قلوب وعقول الكثيرين.. من أول سطرٍ إلى آخر سطر...

المؤلفة

استفانته من العلم مدركه... وأنه حلو لن يتحقق أبدا..

العلم المستحيل

فَرِحَتْ كَثِيرًا عِنْدَمَا أَعْلَمْتَهَا وَالدَّتْهَا بِأَنَّ ابْنَ الْجِيرَانَ خَطَبَهَا، فَهِيَ تَحْلُمُ بِهِ طَوَالَ عَمْرِهَا، لِأَنَّهُ أَكْثَرَ الشَّبَابِ وَسَامَةً فِي الْحَيِّ وَأَعْظَمَهُمْ خَلْقًا وَأَضْمَنَهُمْ مُسْتَقْبَلًا، فَهُوَ يَعْمَلُ فِي شَرِكَةِ كَبِيرَةٍ وَيَمْتَلِكُ أَرْضًا عَلَى وَشَكِّ بِنَائِهَا، لِذَلِكَ تَمَنَّتْهُ كُلُّ فَتَيَاتِ الْحَيِّ، وَحَسِبْنَ الَّتِي سَيَتَزَوَّجُهَا هِيَ الْأَكْثَرَ حَظًّا وَسَعَادَةً.. حَتَّى جَاءَ حَظُّ الْفَتَاةِ الْجَارَةِ..

سَأَلَتْ الْفَتَاةَ وَالدَّتْهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ غَيْرِ مُصَدِّقَةٍ بِأَنَّ الشَّابَّ قَدْ خَطَبَهَا، وَلَكِنَّ الْوَالِدَةَ أَعَادَتْ الْخَبَرَ وَأَكَّدَتْهُ وَبَدَأَتْ بِتَقْبِيلِ ابْنَتِهَا الَّتِي أَتَاهَا حَظُّهَا كَمَا يَقُولُونَ.. وَبَدَأَتْ اسْتِعْدَادَاتِ حَفْلِ الْخُطُوبَةِ..

كَانَتِ الْعَائِلَتَانِ مُتَشَدِّدَتَيْنِ كَثِيرًا، لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَةٍ الْخَطِيبَانِ رُؤْيَةَ بَعْضُهُمَا الْبَعْضَ قَبْلَ عَقْدِ الْقِرَانِ، فَكُلُّ مَا سُمِحَ بِهِ لِهَمَا هُوَ مُحَادَثَةٌ بَعْضُهُمَا الْبَعْضَ فِي الْهَاتِفِ مَرَّتَيْنِ، حَتَّى أَنْ الْفَتَاةَ وَالدَّتْهَا ذَهَبَتْ لَشِرَاءِ "الشَّبِكَةِ" بِدُونِ الْعَرِيْسِ، وَاكْتَفَتْ بِالذَّهَابِ مَعَ الْوَالِدَةِ

الشاب.. حتى جاء يوم عقد القران الذي كان في نفس يوم حفل
الخطوبة..

عُقد قران الفتاة على الشاب بوكالة والدها عصرا، ومن هناك
اتّجهت مباشرة مع والدتها إلى الصالون النسائي لتستعد لحفل
الخطوبة، حيث سيذهب خطيبها لاصطحابها من الصالون وأخذها
معه في سيارته إلى الحفل.

جَهزت العروس، وكانت في أزهى وأبهى حلتها، فقد انتهت
الصفافات من تصفيف شعرها على آخر صيحات الموضة، كما
انتهت المزينة من وضع آخر لمسات المكياج الغامق الألوان على
وجهها، وأنزلت الأم التي كانت معها في الصالون طرحة العروس
على وجهها، ونزلت العروس وأمها إلى سيارة العريس المنتظرة في
الخارج..

كان الخطيب يقف عند باب السيارة ليُدخل عروسه فيها، بينما
كانت هي تقترب من السيارة مع والدتها مُنكّسة رأسها تسترق النظر
لذلك الفارس الذي حلمت به دوما، كانت تقترب من السيارة التي كثيرا
ما كانت تراها في الحي وتتمنى لو أن من نصيبها ركوبها، وها هي

الآن أمام ذات السيارة في الواقع لا في الحلم، السيارة ذاتها والفراس
ذاته..

وصلت العروس عند الباب، عند العريس، فسمعت جملة نطق
بها حالما اقتربت منه "مبروك يا عروس" ..

توترت العروس، أخيرا، أصبح فارس أحلامها ملكها، أصبح
زوجها، هي لا تقوى على الانتظار أكثر، رفعت الفتاة ناظرها لتضع
عينها من وراء طرحتها الفاتحة الألوان في عين العريس.. ولحظات
من الصمت.. ارتفع بعدها صوتها يحدث نفسها..

"ليس هو! ليس هذا فارس الأحلام.. السيارة فقط ذاتها ولكن
صاحبها ليس هو!!" ..

أغمضت جفניה لحظتها لوهلة، وهلة شعرتها الفاصل بين
الموت والحياة، شعرت بأنها فقدت الإحساس بنفسها، كأن روحها
فارقتها في تلك الثواني ولكنها سرعان ما عادت..

فتحت الفتاة عينيها من جديد، لتجد العريس نفسه أمامها،
وأن ما تراه واقع وليس بحلم.. إنه واقع..

لقد حُطبت لغير الذي أردت، لقد عُقد قرانها مع شخص غير من اعتقدت، لقد رُئيت اليوم ورُقت لشاب غريب لا تعرفه، ليس هو، ليس هو من حلمت به، ليس هو من أردت، ليس هو من وافقت على الزواج منه، أو حادثته أو سعدت به، فهي كانت طوال تلك الأيام تحلم بشخص آخر.. لكن كيف حصل ذلك!!..

كانت كل تلك الأمور تجول في خاطرها المصدوم في تلك اللحظة، وهي لاتزال واقفة عند باب السيارة، أمام العريس المجهول، بقرب أمها، وما كان لها غير أن تصعد السيارة..

صعدت السيارة مصدومة مذهولة، كتلك التي فقدت الذاكرة والحواس، جلست صمًا خرساء بقرب عريس لا تعرف من بدّله بين لحظة وضحاها..

بينما جلست والدتها في الأمام بقرب أخ العريس، وسرعان ما قال العريس "هيا يا أخي إلى الصالة.. فلقد تأخرنا بما فيه الكفاية"، فأجابه أخوه "حسنًا"..

وقبل أن ينطلق أخو العريس، التفت إلى العروس في الخلف
قائلا "مبروك يا عروس!"..

فرفعت الفتاة ناظرها الحزين من وراء طرحتها، لتري أن أخوا
عريستها هو فارسها الذي حلمت به دائما.. ولكنها أخيرا استفاقت من
الحلم مدركة.. بأنه حلم لن يتحقق أبدا..

كُلُّ فَوْضَى الْعَوَاسِ تَلِكُ... بِسَبَبِ شَاوِرْمَا لِحْمِ وَاحِدَةٍ..

أَحْمَرُ الشِّفَاهِ

بعد قصة حب قصيرة لم تدم أكثر من شهر أو اثنين.. تزوجا.. كانت المشكلة في أنها جميلة.. جميلة أكثر من اللازم.. مما كان يتطلب المزيد من الغيرة للحفاظ على هذا الجمال.. هذا ما كان يعتقد الزوج..

مضت أسابيع الخطوبة على أحسن ما يرام.. خصوصاً ومفهوم الخطوبة لدى الاثنين لم يكن يتعدى بعض الهدايا وكثير من الطلعات.. ابتداءً بالمطاعم والسواحل وانتهاءً بالنوادي والسينما! ولا ننسى حفاظ كل واحد على شكله وجماله وتوازنه بالكثير من المجاملات والتنازلات خلال هذه الفترة، ليضمن كل واحدٍ مكسب ثقة الآخر وإعجابه..

إلى أن تمّ الزواج.. ومعه تغيّرت الكثير من الأحوال..

كان زواجا عاديا كغيره من الزيجات.. تلاه تأقلم كلا الزوجين على الحياة مع الآخر.. بعدها عاد كل منهما لممارسة حياته الطبيعية

بما تحويه من عمل والتزام.. مما أعطى الزوج الغيور المجال
الخصب لتلعب غيرته لعبتها..

كانت الزوجة شديدة الجمال.. مما جعل فكرة التغزل بها لاصقة
في ذهن الزوج لا تفارقه.. فكان يحسب أي رجلٍ أو شابٍ يقترب من
زوجته يحادثها يقصد مغازلتها.. أو على الأقل يسعى لمغازلتها..
وبما أن الزوجة كانت تعمل في مكان مختلط.. أصبحت حياة الزوج
أكثر تعقيداً..

كان الزوج لا يتوقف عن سؤال الأسئلة الغريبة مثل: مع من
تكلمت اليوم؟ من دخل مكتبك؟ من طلبك بالهاتف؟ كيف كان شكل
الزبون؟ هل صديقتك متزوجة؟ هل مديرك وسيم؟ لماذا سلم عليك
الرجل قبل أن يغادر؟ وغيرها من الأسئلة الكثيرة غير المنطقية..
والتي يدور خلفها مفهوم واحد.. وهو الشك!

تغلغل الشك في قلب الزوج بشكل مخيف.. حتى أصبح يتضايق
من أن يصف أيّاً كان جمال زوجته أو حتى إبداء الإعجاب بها أو
بشخصيتها.. حتى لو كان هذا الأحد أخاها أو أباه.. فقد كان
يرفض تماماً أن تُعجب زوجته أحداً.. والمؤسف أن ذلك طال نفسيّتها
بالسوء.. وهدّ من شخصيتها وثقتها بنفسها كثيراً..

كانت رقابة الزوج الزائدة على كل ما يخص شؤون الزوجة

الخاصة منها والعامّة قد أفقدت الزوجة جزءاً كبيراً من كيانها وخصوصيّتها.. فخلف آرائه المفروضة وطلباته الغريبة وأوامره المتعسّفه ضاعت ثقة الزوجة بنفسها وحياتها.. فشك الزوج وتدخّله طال كل حياة الزوجة بتفاصيلها.. فكان يحدّد لها ما تلبس.. وما تضع من مكياج.. وما تقول من كلمات.. وما ترش من عطور.. وكيف تصفّف شعرها.. بل وحتى من ترافق من صديقات..

وطبعاً كان يختار لها من الملابس والمكياج والعطور والتسريحات ما فيه أقل قدر من الجاذبية والجمال.. بل وحتى صديقاتها كان يفضّل ألا تكون الواحدة منهن جميلة أو جذابة حتى لا تلتفت نظر الرجال عندما تكون بصحبة زوجته فيلنفتوا إليها!!

وبين تقاضي وتنازل الزوجة.. مضت شهور الزواج الأولى بخير.. ولكن سرعان ما تعقّدت الأمور مع الوقت عندما بدأت الزوجة تتذمّر! وطبعاً كان مفهوم التذمّر عند الزوج مرادفاً لعوارض الخيانة!! بمعنى.. أنه طالما الزوجة بدأت تناقش وتتذمّر من الطاعة.. فتلك بوادر وجود شخص آخر في حياتها!.. وبما أنها كانت على علاقة به قبل الزواج.. فليس بعيداً عليها أن تقوم بعلاقة مع آخر بعد الزواج!!

وبدأت الاتهامات تتطلق من الزوج إلى الزوجة في أدنى موقف

شك تافه يصطنعه الزوج من خياله.. وكانت الزوجة تسكت على ذلك كما سكتت على لبسها وشعرها ومكياجها في السابق.. مع أن لا امرأة في العالم تقبل الطعن بما يمَسُّ شرفها خاصة إذا كان ذلك الطعن من زوجها.. فتلك إهانة وتقليل من كرامتها كامرأة.. ولكن هذا ما حصل..

كان وابل الاتهامات السخيفة يملأ حياة الزوجة.. مثل: أين كنت ظهر اليوم؟ أنتِ لم تذهبِ لمنزل والدتك؟ لقد رأيت رجلاً في سيارتك؟ لقد شممت رائحة سجائر في ملابسك؟ من أين لك هذا الخاتم؟ انت كاذبة لقد سمعتك تكلمين رجلاً؟ وغيرها من الأسئلة والاتهامات المسيئة والتي تحمل خلفها معنى واحداً.. وهو الخيانة!

كانت المشاجرات بين الزوجين تبدأ هادئة حيث كانت الزوجة كثيراً ما تسيطر على الوضع.. ولكنها تنتهي عنيفة حيث يرتفع فيها صراخ الزوجين على بعضهما.. ولكن سرعان ما كانا يهدان من جديد.. وكان الزوج في الغالب من يبدأ بالصلح لأنه كان دائماً من يبدأ بالشجار.. فما أن يقترب من زوجته حبيبته حتى يعتذر منها.. ويزرف الدموع أسفاً على تجريحها وخوفاً من خسارتها.. فتطمئننه بأنها ليست متحاملة عليه.. وبأنها الأخرى تحبه وتقدر له خوفه وغيرته ويستحيل أن تتنازل عنه.. حتى جاءت ليلة..

كانت الزوجة قد استأذنت زوجها للذهاب مع صديقتها إلى

السوق.. فوافق الزوج على ذلك التسوق بعدما جمع كماً كافياً من المعلومات عن تلك الصديقة التي سترافقها.. ولكن لسوء حظ الزوجة.. طال وقت التسوق عن غير قصد.. وكان الزوج يغلي في المنزل غضباً وهو ينتظر الزوجة.. حتى دخلت..

"مساء الخير حبيبي.. آسفة على التأخير.. ولكن السوق كانت مزدحمة كثيراً والشوارع أكثر.. ولكنني على الأقل اشتريت كل ما أردت من حاجات.. فلقد وجدت ملابس جميلة و..."

كانت الزوجة تتكلم سعيدة وهي تُخرج الملابس والأغراض التي أشتريتها.. ولكن الزوج كان يفكر بأمر آخر أكثر أهمية.. ألا وهو..
أحمر الشفاه!!

عندما ذهبت الزوجة إلى السوق كانت تضع أحمر شفاه غامق اللون.. فأين اختفت الحمرة؟ وكيف اختفت؟؟ قاطع الزوج حديث زوجته سائلاً بسرعة عن ذلك.. فارتبكت الزوجة لأنها شعرت بشك زوجها بالسوء وقالت "لقد تناولت الشاورما في السيارة مع صديقتي بعد أن أنهينا التسوق!"

فقال الزوج مستكراً وعلامات الغضب والشك قد ارتسمت على وجهه "ولكنك لم تخبريني بأنك ستتناولين معها العشاء!"

فأجابت الزوجة والخوف قد بدأ على وجهها "لم نخطّ لتناول

العشاء ولكن المشي في السوق اتعبنا ف شعرنا بالجوع فأكلنا"

صمت الزوج.. فهدأ خوف الزوجة.. وقامت بترتيب ما اشترته من أغراض.. ولكن الزوج ظلّ صامتاً غاضباً يخطّط لشيء.. حتى جهر قائلاً "لا تغيري ملابسك.. سنخرج قليلاً بالسيارة!" وطبعاً.. لم يكن للزوجة مجالاً لترفض!

في السيارة.. شمل الصمت الزوجين.. وكانت الزوجة تعلم بأن زوجها غاضب.. ويشك أكيداً بموضوع عشائها.. لكنها لم تعلم لأي درجة قد يصل هذا الشك أو الغضب.. حتى توقف الزوج بالسيارة في منطقة شبه نائية.. وما أن حاولت الزوجة البدء بالكلام حتى انهال زوجها عليها ضرباً.. متهماً إياها بالخيانة..

قام بربط فمها حتى لا تتمكن من الصراخ.. وبدأ يضربها على صدرها وبطنها ثم قام بحرق وجهها وجسمها مستخدماً ولاعة السجائر في السيارة.. وقام بقص شعرها وتقليع أظافرها وتشويه وجهها بالضرب والحرق حتى يخفي أثر الجمال من عليه تماماً.. فلا تكون بذلك أهلاً للتغزل بها..

وفعلاً.. لم يتركها سوى امرأة مشوهة.. ودخل بسبب ذلك السجن.. فقد فضل أن يكون مسجوناً ولا أحد يغازل زوجته.. على أن يكون حراً وزوجته خائنة!

غريب جداً أمر هذه الغيرة.. فكل فوضى الحواس تلك بسبب
شاورما لحم واحدة.. وبعض ألوان حمرة شفاه!!

سكب الماء من السطل على نفسه.. ورمى بالمسحة خارج
الكرامج.. حاولت إقناعه.. أخبرته بأن الأم تعلم بأن يصبح
ابنها طبيباً.. ولكنه لم يفهم..

أخبره تلك الكلمة..

حاولنا معه كثيراً.. لكننا لم ننجح..

لم نستطع فهم ما ترغب به نفسه.. ولم نستطع تحقيق جزء بسيط من السعادة التي أراها لنفسه.. لذلك تركناه ليصنع ما أراه لنفسه.. تركناه ليكون ما أراد أن يكون.. مع أن ما أراه لنفسه لم يكن شيئاً يسهل علينا تقبله..

هكذا كانت حياتنا أنا وأبوه مع ابننا الوحيد.. والذي أكتشفنا بعد سنوات من إنجابه.. بأنه يعاني من عيوب خلقية لم نفهمها يوماً لأننا لم نكن نراها..

كنا نراه طفلاً طبيعياً مثله مثل باقي أطفال الأهل والحيران.. يضحك كما يضحكون.. ويلعب كما يلعبون.. ولم نفهم يوماً لم كان الأطباء يرددون بأنه متخلف.. لكننا مع الوقت فهمنا.. وكان الاقتناع بالواقع صعباً على والده أكثر مما كان عليّ.. فلم أكن أراه مريضاً.. ولم أفهم ما وراء ذلك المرض من مسلمات..

ظللت سعيدة بطفلي.. أراه يكبر أمامي.. جميلاً وسيماً يشبه أباه.. دخل المدرسة.. لم يكن مختلفاً.. فلقد اشتريت له آنذاك نفس الزي الذي يلبسه الأطفال الآخرون.. وجعلت لشعره تسريحة رسمية قصيرة.. وجهزت له حقيبة الأكل كما تفعل باقي الأمهات.. وودّعته في أول يوم مدرسة متمنية له ما تتمناه كل أم.. من أن يصبح ولداها طبيباً في يوم من الأيام.. لكن.. لا أدري كيف ولماذا فصل ابني بعد سنوات من المدرسة..

لم أفهم كل ما قالوه لزوجي.. مع أن ذلك الكل لم يتعد تلك الكلمة نفسها.. الكلمة ذاتها التي أسمعها من سنين ولا أفهمها.. ابنكم "متخلف".. كلمة كنت قد بدأت أتضايق من سماعها.. وإن كنت لم أفهم بعد ما سيكون لها في المستقبل من تداعيات.. واكتفيت بسؤال زوجي.. "أوليس للمتخلف مدرسة؟"

وكان جواب زوجي "ربما".. وفهمت من جوابه بأن تلك المدرسة إن وجدت.. فستكون مختلفة قليلاً أو كثيراً عن المدرسة التي يذهب إليها باقي الأطفال في الحي.. في تلك اللحظة أيضاً.. ضايقتني تلك الكلمة.. وبكيت كالطفل المسروقة لعبته.. قائلة لزوجي "أريد طفلي أن يرتدي الزي نفسه الذي اشتريته له.. نفس الزي الذي يلبسه كل الأطفال في الحي.. أريده أن يذهب نفس المدرسة التي يدرسون فيها.. لا أريد طفلي أن يبدو مختلفاً!.. وانتهى بي البكاء بإبقاء طفلي

معي في المنزل.. وهناك أيضاً ضايقتني تلك الكلمة..

ومضى الوقت.. كنت قد بدأت ألاحظ سلوكياتٍ غريبة على طفلي.. ولكنني أيضاً لم أفهم.. جاءتني الجارات يشتكين لأكثر من مرة.. يقلن لي بأن طفلي يضرب أطفالهن.. فأجيبهن "هو لا يضربهم هو فقط يلعب معهم لكن طريقة لعبه مختلفة!" يقلن لي طفلي يكسر كل ما يقع عليه ناظره ويرميه.. فأجيبهن "إنه مجرد طفل والتكسير من سمات الأطفال!".. وفي النهاية اضطررت لإبقاء طفلي بعيداً عن الحي بعدما كان فقط بعيداً عن المدرسة.. وذلك لأن جاراتي لم يحببن ردود فعلي على استيائهن..

ومضى الوقت.. وأصبح لطفلي شاربان جميلان.. كما زادت كثافة الشعر الذي على ذقنه.. بحّ صوته.. فقد أصبح طفلي رجلاً.. وأصبح يطلب حقوق الرجولة..

في تلك الأثناء أيضاً.. كرهت تلك الكلمة.. فطفلي رجلٌ يريد أن يعمل.. يريد أن يكسب النقود بنفسه.. لا يريد أن يستلم مصروفاً كما لو كان لا يزال يرتدي الزي المدرسي الذي حرم منه.. ولكن ما الذي يستطيع القيام به طفل أكره تصنيفه تحت تلك الكلمة.. وكان قرار ذلك الطفل الرجل صعباً عليّ أكثر من تلك الكلمة نفسها..

فقد أمسك بيدي يوماً.. وجرّني خلفه حتى "كراج" سيارة والده..

تركني في الكراج وخرج منه.. ثم عاد وبيده سطلاً نصفه ماء وبيده الأخرى ماسحة.. وأصبح يرمي الماء المختلط بالصابون على السيارة ثم يمسه.. فلم أتمالك نفسي.. انقضت عليه أسحب السطل من يده.. احتضنه وأقبله.. أحاول إفهامه بأني لن أسمح له بأن يكون منظف سيارات.. ما من أم تحلم لابنها بذلك.. ولكنه أصرّ وغضب وسكب الماء من السطل على نفسه.. ورمى بالماسحة خارج الكراج.. حاولت إفهامه.. أخبرته بأن الأم تحلم بأن يصبح ابنها طبيباً.. ولكنه لم يفهم.. وتركناه لما يريد..

كان سعيداً للغاية.. يقف يوماً في باحة عامة حيث تصطف أنواع وألوان مختلفة من السيارات.. فيختار منها التي يعجبه صاحبها.. ويبدأ العمل.. حتى أصبح لديه زبائن دائمين من بينهم واحدة..

كان يأتيني كل يوم يخبرني عنها الكثير.. سعادته في إخباري بما جرى معها لم تكن توصف.. كان يدخل بسطله إلى الصاله ينسأه في يده التي يحركها يمناً ويسرة.. يحاول إفهامي بكلماته المتكسرة.. يخبرني كيف سارت وماذا لبست وإن كانت ضحكت.. وأنا أتأمله سعيدة حزينة.. أراه متمنية لو كان بإشارات يده تلك على الأقل شرطي مرور.. أتمنى لو أنني أستطيع أن أخطب له تلك الفتاة التي تجعله سعيداً للغاية.. ولكن السطل الذي في يده يعيدني إلى واقعي المرير..

فأكره من جديد تلك الكلمة..

ومرّت الأيام والأسابيع ولربما شهور.. بعدها فقد طفلي الرجل حماسه.. أصبح حزيناً.. غالباً ما ينتحي جانباً من المنزل ليذرف فيه الدموع.. ولم نفهم ما الذي يجري معه..

حتى جاء يوم دخل فيه المنزل غاضباً.. رمى السطل بمائه.. وأصبح يمزق الماسحة ويُدوس عليها بقدمه.. حاولت كثيراً حتى تمكّنت من تهدئته.. سألته ما به ولكنه لم يجب.. شعرت بأنها قد تكون تلك الفتاة التي يكلمني عنها كل يوم.. لعلها ضايقته أو هو ضايقها.. سألته عنها مقلّدة حركاته.. قرّرت لحظتها أن أصبح أنا شرطية المرور لأفهمه.. فأصبحت ألوّح بيدي يمنة ويسرة.. أسأله عنها.. فوجدت اعتقادي صحيحاً..

هدأ.. وأصبح يبكي بهدوء.. احتضنني.. وأصبحت أمسح على شعره بحنان.. وكنت أشعر وكأنني أسمع صوتاً في داخله يقول.. "ياليتي أستطيع أن أكون طبيباً فتقبل بي فتاتي".. فأدركت بأن طفلي قد أصبح رجلاً بالفعل.. وأعود من جديد.. لأكره تلك الكلمة..

التفتت إليه الفتاة متفززة من صيبتها.. فإذا بها ترى عينيها
ترتكزان على صدرها..

أنتهى.. فهي رجُل..

شكله الملفت للنظر جعله سخرية أمام الطلبة.. مع أنه في نظر البعض كان شيئاً مميزاً.. رغم منظره المقزّر..

كان طالباً جامعياً.. مع أن الكثيرين كانوا يرونه طالبة.. شيء ما في داخل نفسه يجعله أقرب للنساء منه للرجال.. حديثاً وسلوكاً بل ونفساً.. فهو يحب الحديث بنعومة ورقة.. ويجب الحركة بخفة وأنوثة.. كما يحب لبس الحرائر والزهريّ من الألوان..

أما مشاعره فكانت أكثر من رقيقة.. كان يذرف الدموع لأتفه الأسباب.. ويتألم من أبسط الخدوش..

وكانت سلسلة من الأحداث المصاحبه لواقع جنسه الذكريّ بالفطرة.. والأنثوي بالرغبة.. يشهد عليها زملاءه الشباب الذين كانوا يهتمون كثيراً للفت نظر أي فتاة جميلة تلفت ناظرهم.. أما هو.. فكان ذلك لا يعنيه على الإطلاق.. على العكس.. كان اهتمامه بالشباب

رفاقه يزيد على اهتمامه بصديقاتهم.. وكان السؤال الذي يطرح نفسه دائماً.. هل ذلك واقع يعيشه فعلاً مع زملائه وزميلاته؟ أم هي مجرد تخيلات تحيط به كما تحيط بالبعض ممن على شاكلته؟!

ويوماً.. وبينما هو في ممر الجامعة.. لفتت نظره فتاة! مع أن الفتيات عادة لا يلفتن نظره.. ولكن ما لفت نظره هذه المرة كان قميصها!!

كانت الفتاة ترتدي قميصاً جميلاً الألوان.. بزخارف كبيرة مرسومة بشكل دقيق.. مما جعل طالبنا يتجرأ على الاقتراب منها لسؤالها عنه.. ولكن قلة خبرته بمثل هذه المواقف جعله يدفع الثمن غالباً..

اقترب الشاب من الفتاة وقال "لو سمحت" .. التفتت إليه الفتاة منقززة من هيئته.. فإذا بها ترى عينيه تتركزان على صدرها.. وقبل أن تفكر بأي رد فعل قال الشاب "من أين لك هذا الرسم الرائع؟" فما كان من الفتاة إلا أن تصفع الشاب على وجهه صفة قوية هز دويها أسماع كل الطلبة والطالبات في الممر..

لم يقصد الشاب أي سوء تجاه الفتاة.. كان فقط ينظر إلى الزخرفة الكبيرة المرسومة على قميص الفتاة ناحية الصدر.. ولكنها اعتقدت بأنه ينظر إلى صدرها ويقصده بحديثه..

طُلب الشاب على ضوء فعلته في مكتب أحد القائمين على شؤون الطلبة.. وما كانت إجاباته مقنعة على الإطلاق!!.. وسرعان ما انتهى البتّ في قضية التحرش بزميلته بتوقيع على تعهّد بالفصل من الدراسة حالما تكرّر الموقف.. وانتقل التحقيق إلى النظر في موضوع آخر.. وهو..

ما سرّ الشكل الذكوريّ الأنثويّ الظاهر على هيئة هذا الإنسان الجامعي.. وخرج التحقيق بمجموعة من الأسئلة الصارخة والجارحة.. والتي انتهت باستدعاء وليّ أمر هذا الطالب.. وإلّا الفصل من الجامعة بدون توقيع ولا تعهّد.. فالحرم الجامعي يأبى احتضان الشواذ من المخلوقات والموانع من الرجال.. هذا ما دار حول الموضوع.. وكما كان الطالب قريباً من الأنوثة.. كذلك كانت صفة ولي أمره الحاضر.. حيث كان الولي عليه وليّة.. والدته..

جاءت والدته.. كانت سيدة مجتمع راقية.. جاءت بأبهي حلّة وأرقى زينة وأزكى ريح.. جلست في مكتب المسئول جلسة خيلاء وكبرياء وكأنها مدعوة لحفل تخرّج ابنها بمرتبة شرف.. وليس لمحاولة منع فصله من الدراسة..

لم يكن الكلام مع والدة الطالب مثرياً كفاية.. ولكن نتيجة البحث أسفرت عن أحقيّة الطالب في مواصلة الدراسة.. فلقد أثبتت كل أوراقه

الملفية وشهادة زملائه وأساتذته.. بأنه طالب مجتهد مسالم.. وأنه لا يعاني من أيّ شذوذ جنسي أو نفسي.. فهو رجل مثله مثل غيره..

ربما لا يحب إقامة العلاقات الرومانسية مع الفتيات بقدر ما يحب لبسهن وزينتهن.. ولكن ذلك لا يعني أبداً بأنه يحب إقامة علاقات شائنة مع الشباب أو ينظر إليهم نظرات غير سوية..

ومع التحقيق.. عرف المسئول بأن هذا الشاب وحيد أمه.. تربى معها بعيداً عن والده.. وعلى ما يبدو كانت والدته تتمنى لو أنه كان فتاة.. لذلك جعلته فتاة بالشكل..

كان الشاب متعلقاً كثيراً بوالدته.. فهو لا يرى غيرها.. وهي لم تسمح له بمعاشرة غيرها من الأصدقاء أو الأقرباء.. كانت تخاف أن يختلط بأناسٍ أقل مستوى منه فيفسدون تربيتها.. تربيتها القائمة على الأتكيث والرقى الزائد.. الرقى الذي زاد على حدود الرجولة ليحوّل أدب الشاب إلى تهذيب فتاة صغيرة..

تربى على أن يقلّد والدته منذ صغره.. اكتسب اهتماماتها البالغة باللبس والمكياج وتصنّع الأنوثة.. وما كان حوله غير النساء ليحادثهن فتعلّم أساليبهن في الحديث.. لذلك كبير وهو يحمل صفات الإناث شكلاً.. مع أنه رجل من الداخل.. وإن كان الكثيرون يرفضون التصديق..

كان المدوء قد خيم على الفصل.. الجميع جنه في مكانه
مذمو لا من الموقن..

أنا بدين!

صحيح أنه كان يأكل كثيراً.. ألا أن أصل تلك السمنة كان
جيناتٍ وراثية..

لم تكن المشكلة كبيرة في المراحل الدراسية الأولى.. ولكنها كانت
تكبر مع السنين.. وتعظم مع المراحل..

لم تكن كلمة "المتين" تؤلم أيام الابتدائية، ولكنها بدأت تُعطي
تأثيرها مع بداية الإعدادية، حيث بدأت الكلمة تُظهر معناها الحقيقي،
معنىً يصف الظاهر ويجرح الباطن، حتى هبّت المراهقة هبوب
الرياح.. وساءت معها حالتي..

عشت أيام مراهقة صعبة، ما كنت لأتقبل شكلي ولا حجمي..
كنت أقضي الكثير من الساعات حابسا نفسي في غرفتي.. امتنعت
عن الطعام بشكل شبه كلي، كما أنني حرمت نفسي مصادقة الكثيرين
واللعب والخروج، حتى أجنب نفسي أية مواقف محرجة.. حتى مرّت

تلك الفترة بسلام.. وانشغلت مع زملاء الدراسة في التفكير بالمستقبل
والدراسة الجامعية..

تخرجت من المدرسة، وكغيري من الشباب سجّلت للدراسة في
الجامعة، فأنا مجتهد في دراستي، وكنت من الطلبة الأوائل طوال
سنواتي المدرسية..

دخلت الجامعة، وكان ذلك يومي الأول فيها، حيث افترق
زملائي كلٌّ إلى محاضراته، وأنا الآخر اتّجهت إلى حيث
محاضرتي.. ولكنني تفاجأت عند الجلوس!

كانت كراسي الجامعة تختلف كثيراً عنها في المدرسة، فالطاولة
مشبوكة مع الكرسي، مما يجعل جلوسي مستحيلاً، فحتى لو حاولت
إقحام نفسي بالجلوس، فالمكان لن يتسع لي، وحتى لو اتسع لي
بطريقة ما.. فمن المستحيل أن أتمكن من استخدام الطاولة! ولكنني
رغم ذلك جربت..

عاندت قدرتي وقرّرت الجلوس.. كان ذلك يوم دراستي الأول..
وتلك محاضرتي الأولى.. لذلك كان عليّ الجلوس.. هكذا فكّرت..
وقرّرت.. دون التفكير بالنتائج..

دخلت الفصل، بدأت محاولة الجلوس، كان هناك الكثير من
الطلبة، ولكنني تجاهلت وجودهم وتصرفت بشكلٍ طبيعي، اقتربت من

الكرسي، حاولت الجلوس فوجدت الأمر صعباً، ولكنني أجلسْتُ نفسي بسرعة وقوة حتى لا ألفت النظر، أقممتُ كل ذلك اللحم في ذلك المقعد الضيق بطريقة قاسية، حتى شعرت بجوانب الكرسي تكاد تمزق جلدي..

مرّت دقيقتان أو ثلاث على اختناقي بالمقعد، حتى شعرت بالاختناق يصل إلى صدري، لم أكن قادراً على التنفس، شعرت وكأن ضغط اللحم قد جثم على صدري فما كنت قادراً على التنفس، فقررت الخروج.. ولكن الواقع كان أصعب من القرار بكثير..

حاولت القيام من على الكرسي، كان عدد الطلبة قد زاد أكثر في الصف، فزادت الأنظار التي التفتت إليّ بسبب الصوت الذي أحدثته محاولتي..

في البداية التفت إليّ بعض الطلبة، بعدها التفت إليّ كلهم، فقد كنت كالدبّ العالق في مصيدة، كان شكلي أقرب للمضحك منه إلى المُحزن، فبدأ الجميع ينظر إليّ ضاحكاً، مستهزئاً أو مشفقاً، وارتفعت الضحكات أكثر.. ولكنها سرعان ما هدأت تلك الضحكات بعد دقائق عندما ظهرت أصوات محاولاتي للخروج..

كان ذلك صوت أزرة قميصي وهي تقع من مكانها، صوت سخاب بنطالي وهو يفتح، صوت ملابسي التي تمرقت، صوت

تأوهي وأنا أعصر جسدي للخروج..

كان الهدوء قد خيم على الفصل، الجميع جثم في مكانه مذهولاً من الموقف، حتى قام بعض الطلبة صامتين، أمسك بعضهم الكرسي ليثبتوه على الأرض، والبعض الآخر حاول سحبي من الكرسي، حتى تمكّنوا من إخراجي أخيراً.. ولن أصف لكم كيف كانت هيئتي عندها، أو احمرار بشرتي خجلاً وألماً..

خرجت من المحاضرة مباشرة إلى المنزل.. ولم أعد للجامعة أبداً.. وكانت تلك مرحلة بداية الصدمات..

وبعد فترة قضيتها في ألم عدم تحقيق حلم الجامعة.. قرّرت العمل.. وكان الأمل متعلّقاً في الحصول على وظيفة أحبها.. وكنت أحب العمل العسكري!

حصلت على فرصة للعمل كعسكري بوساطة أحد الأصدقاء، ولكن عندما ذهبت للمقابلة تفاجؤوا ببدايتي ورفضوني مباشرة، وقال لي أحدهم مستهزئاً "لو نقص وزنك مائة كيلوغرام فهناك أمل في حصولك على الوظيفة!"

فشلت من جديد.. لكن هذه المرة حاولت أن أجعله الفشل الأخير..

بدأت بعمل "رجيم" قاس، وقرّرت أن أضع لنفسني برنامجاً

غذايا جادا، فتوجّهت لإحدى المراكز المختصة في ذلك، وهناك تعرّفت على فتاة تعمل على ذلك..

وضعت لي الفتاة برنامجاً صحياً غذائياً ورياضياً، وذلك بعد التحقّق من كافة الجوانب الصحيّة المتعلقة بي، كالطول والعرض والوزن والعمر والحالة الجسدية والنفسية.. وبدأت العمل به من حينها..

ولم يكن الموضوع متعلّقاً بالبرنامج الصحيّ وحسب، بل أشعررتي بخليطٍ من العطف والشفقة، فقد كانت تهتمّ لأمرى بشكل ملاحظ، وتحرص على محادثتي ونصحي باستمرار، وكانت دائماً تُردّد عليّ جملة "عليك تخسيس وزنك.. إن كنت تفكر بالزواج!"

كان من الواضح أن الفتاة تميل إليّ عاطفياً بعض الشيء، ولولا سمّنتي لكانت مالت إليّ أكثر، لذلك كانت تحاول تقوية عزمي دائماً للتخلّص من سمّنتي، فوجدت لِنفسي دافعاً أعظم لمواصلة الرجيم والرياضة، خاصة وأنني كنت قد وقعت في حبها!

كنت فعلاً أحبها كثيراً، وكنت أحسبها الوحيدة القادرة على إسعادي، ربما لأنها الأكثر حناناً من كل من عرفتهم في الحياة، والوحيدة التي ما رأيت منها استهزاءً أو تحقيراً، وكنت متعلّقاً بها لدرجة كبيرة، وكان حلم الإقتران بها هاجساً يقتلني متى ما شعرت بأنه

مستحيل..

وضاع حلمي بالفتاة.. كما ضاع حلمي بالوظيفة العسكرية.. كما ضاع حلمي بالتخرج من الجامعة.. حيث دفعني ياسي يوماً لسؤالها إن كانت تقبل بي زوجاً.. فأجابتي بقسوة "مع وزنك هذا.. مستحيل".. وكانت تلك ذروة الصدمات.. حيث فقدت الشعور بعدها بالمحيط..

ومع الوقت.. وبعدما فقدت الإحساس بالأشياء والناس.. عرض عليّ أحد الأصدقاء فكرة غريبة.. بل فكرة مستحيلة.. إذ عرض عليّ الزواج من فتاة تريدني زوجاً لها!!

مستحيل! من هذه المغفلة التي تريدني أنا زوجاً لها؟ من تريد شاباً لا يملك أيّ سمات الشباب، بلا شهادة ولا وسامة ولا عمل!! شاب لا يضمن لها قدرته على الوقوف بعد الجلوس.. ولكن إجابة كل تساؤلاتي تلك كانت بجملة واحدة.. "هي الأخرى سميئة!"

لم أتقبل الفكرة، ولكنني لم أرفضها، كل ما فكرت به هو لقاءها لأرى مدى إمكانية الخوض في ذلك المشروع.. خاصة وأنه لم يبق لي في الحياة المزيد من المشاريع..

التقيتها في أحد المجمعات التجارية، حيث جلسنا معا على طاولة مقهى صغيرٍ لنشرب العصير ونتعارف..

المحتويات

9	الصحيفة البالية
19	عشاء الزوج
25	أساتذة.. وعارضات..
33	حكم الوالدين..
43	المدير المهرج
51	الحلم المستحيل
59	أحمر الشفاه
69	أكره تلك الكلمة..
77	أنثى.. في رجل..
85	أنا بدين!
95	أكياس الذهب
103	الملامح الواضحة!
111	لقد تأخرت..!

119	لماذا أنتِ خجلة؟!!
125	هكذا يكيدون!
133	من المتصل؟!!
141	الظفر المكسور
147	نار الحب
155	الحوار الشيطاني
163	هدية الوفاء
173	هوايات!!
179	المطبخ المتحرك
187	زملاء على طاولة
195	من مذكرات رجل
205	الوهم

سيرة ذاتية

- معصومة علي المطاوعة.
- كاتبة بحرينية في مجال الصحافة والرواية والقصة القصيرة والدراما التلفزيونية.
- مواليد المحرق / البحرين عام 1977.
- بكالوريوس رياضيات / تربية - جامعة البحرين.
- ماجستير تربية - جامعة القديس يوسف / بيروت.
- مدرّسة في وزارة التربية والتعليم.
- كاتبة وصحفية في جريدة الأيام البحرينية.
- صدرت لها مجموعة من المؤلفات الأدبية، منها:
 - رواية بعنوان "وتحطمت القيود".
 - خمس مجموعات قصصية بعنوان: وبجها من غفلة، لن يعيد التاريخ نفسه، الأصابع المحترقة، الفستان المشؤوم، في ذاكرتي زوجة.
- كتبت مجموعة من الأعمال التلفزيونية، منها:
 - مجموعة سهرات تلفزيونية تحت عنوان "صور من الحياة".
 - أربع مسلسلات درامية بعنوانين: بقايا رماد، الفجر المستحيل، حصاد الخريف، هواجس.
- نُشرت لها العديد من القصص والمقالات والتحقيقات الاجتماعية والسياسية والتربوية في مختلف الجرائد والمجلات.
- عضو في مجموعة من الجمعيات الأهلية.
- البريد الإلكتروني masooma@alayam.com